أ.د. ابراهيم الأشيقر الجعفري
مفكر اسلامي - العراق

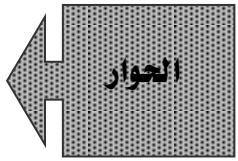

الوحدة الإسلامية في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

س) كيف يقرأ الدكتور الجعفري أوضاع العالم الإسلامي، وماهي السبل لوحدة الأمة الإسلامية؟ وكيف ينظر إلى حضور الأمة الإسلامية بين الأمم وهل تؤمنون بعالمية الأمة الإسلامية؟

يكتسب الحديث عن الأمة الإسلامية أهمية خاصة لأنه حديث عن أمة لها تاريخ موغل بالقدم وزاخر بالعطاءات، كما انها أمة تحتل موقعاً ستراتيجياً من الناحية الجغرافية مستقرة في قلب العالم وموزعة في قارات ثلاث: آسيا، افريقيا وأوروبا وممتدة الى حوالي ٥٠ بلداً، اضافة لامتلاكها الكثير من الموارد الطبيعية ذات القيمة الاقتصادية في مقدمتها النفط، إذ يبلغ ثلثي احتياطي نفط العالم، كما خرّجت من الناحية العلمية أساطين العلم ورواد المعرفة في ميادين الفكر المختلفة.

هذا على مستوى الفعل والإثراء، أما على مستوى ردود الفعل والمخاطر المحدقة بها، فان مفكري الليبرالية الأميركية بدأوا يدقون ناقوس الخطر ازاء الأمة الاسلامية ومن كل ما يمت لها بصلة من فكر وامتداد وآلية وخطاب.

لعل أحد نماذج هؤلاء المفكرين هو صاموئيل هنتيكَتون، حيث نظّر إلى مرحلة ما بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة (المعاصرة) واعتبرها إيذاناً بصدام حضاري سيحصل بين الليبرالية الأميركية من جانب وبين الإسلام والكونفوشيوسية

من الجانب الآخر. وهو ما يضع الأمة الاسلامية في موضع الشك، ومما ساهم في تكريس هذه الشبهة هو موجة الارهاب الحديث التي بدأت مشوارها بأميركا في سبتمبر عام ٢٠٠١ وامتدت إلى اسبانيا وايطاليا وبريطانيا ومصر والسعودية والعراق وأفغانستان وماليزيا وباكستان والكثير من بلدان العالم. وهو ما يستدعى أن يبذل المسلمون عموماً والواعون منهم خاصة جهوداً لتجلية الوجه المشرق عن الاسلام والأمة الاسلامية.

يضاف الى أن العمل من أجل حفظ وحدة الأمة وصيانة كرامتها مما دلت عليه الأدلة العقلية والنقلية ولم يعد أحد يناقش في مسألة "سرّ قوة الأمة في وحدتها"، كما لم يناقش أحد من أن أخطر أعداء الأمة هو مَن يستهدفها تحت شعار "فرق تسد".

لكن المشكلة تكمن في أن الأمة لم تزل دون مستوى مسؤوليتها من الناحية العملية وهي تعاني من أزمات على مستوى الخطاب والمنهج والمؤسسة والرموز، مما يجعل البحث في كل ما يتعلق بوحدة الأمة أمراً ضرورياً ويهم الجميع من دون استثناء، فهي اضافة لكونها مسؤولية شرعية أرادها الله تعالى للمسلمين فهي ضمان لسعادتهم وأمنهم وهي سر قوتهم ومصدر عزهم.

لم يعد اليوم أمرُ الوحدة للأمة الاسلامية شأناً إسلامياً، بل عاد شأناً عالمياً في وقت تضاربت فيه أطراف العالم وامتزجت الثقافات وتشابكت المصالح ولاحت فيه المخاطر المشتركة وهو ما يجعل الأمم الأخرى أمام مسؤولية الانفتاح على الأمة الاسلامية ونزع فتيل الأوضاع التي استبدت بها ردحاً طويلاً من الزمن.

إن ما يمكن أن تقدمه الأمة الاسلامية من إثراء على المستوى الاقتصادي والحضاري والفكري وما تساهم فيه من ارساء قواعد الاستقرار والطمأنينة يجعلها محط احترام العالم كله، كما ان عامل الأخطار المشتركة التي يعانيها العالم ويحدق بالأمة الاسلامية كذلك يدفع هو الآخر باتجاه عالمية الأمة الاسلامية وعلينا أن نميّز هنا بين العالمية للأمة الاسلامية والتي تطل برأسها الحضاري البناء والمساهم في إثراء الأمم

الأخرى والمشاطر لهمومها بكل ثقة، وبين تدويل الأمة وجعلها رهينة حسابات دولية تبتز خيراتها وتعرقل حركة نموها وتنظر لها من وحي العقدة الفوقية.

إن الحضور العالمي للأمة الاسلامية يتجلى في صورة التعاطي الفكري والاقتصادي والفني والسياسي لما يعزز موقعها المرموق ويجعلها في الصدارة وأخذ زمام المبادرة في دعم الأمم الأخرى والاستفادة من تجاربها في عالم يراد له أن يكون عالم آمن وقوي ومزدهر بعيداً عن التوتر والحروب.

س) من أين يمكن أن ينطلق الإنسان المسلم للحديث عن الوحدة الاسلامية؟

إنما نتناول الحديث عن موضوع كالوحدة لأن الأمة لم تزل تعاني من التفرقة والتمزق في الكثير من مجالاتها ولأن الترابط بين تماسكها الداخلي وأدائها الخارجي في سياقات التعامل مع الأمم الأخرى عضوي.

ومن خلال مصدر مقدس كالقرآن الكريم لأنه يحظى بتسليم كل المسلمين ومن مختلف خلفياتهم المذهبية، وحيث ان موضوع الوحدة يستهدف الفرقاء المسلمين أنفسهم، فكان من الطبيعي أن ننطلق من كتاب الله الكريم عليهم ليتفتحوا عليه جميعاً. فقد ينغلق البعض من أبناء المذاهب تجاه الآخرين من المذاهب الأخرى اذا ما تم الانطلاق من الأحاديث والروايات التي لا يسلّم المخاطب باعتبارها ولو الى حد ما. بينما سلّم المسلمون جميعاً لحاكمية القرآن الكريم على الحديث مهما كانت صحة سنده ووضوح دلالته.

س) صحيح ان القرآن الكريم هو المصدر الاساس والمقدس لدى كافة المسلمين لكن ما هي أهم عناصر الوحدة الإسلامية في القرآن الكريم؟

هناك عناصر متعددة ومتنوعة

١ – المعرفية:

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (سورة المؤمنون/ ٥٢).

المظهر الوحدوي للأمة الاسلامية على المستوى البنيوي والأداء الوحدوي على

مستوى الآلية وكذلك الخطاب على مستوى التوصيل للمتلقي كلها لم تنفصل عن القاعدة العقيدية بكل ما زخرت بها من مفاهيم وهي ما تعطي كل هذه النمطيات قيمة معنوية وفهماً معنوياً للحياة، لذلك يقول عزوجل: ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾، و﴿أنا ربكم فاتقون﴾، وتكرار ﴿أنا ربكم﴾ يفيد حقيقة التربية والتغيير ومن انه تعالى جهة التشريع المعنية بإحداث التربية، وهو ما يضفي على الوحدة قيمة عبادية كبيرة ويحذر من مغبة إحداث الفرقة.. ما يخرج الوحدة للأمة من الحيز الكمالي ويدخلها في دائرة المسؤولية الكبرى والتكليف الشرعي.

٢ – المرجعية القرآنية:

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً﴾ (سورة النساء/ ٦٠ ـ ٦١).

كل أمة من الأمم ـ مهما تماسكت أطرافها وتعمقت جذورها ـ تبقى عرضة للاختلاف، ويبقى باب الاختلاف مفتوحاً وقد يكون طريقه طويلاً لا يقف عند حد الحوار والتفاهم، بل قد يتطلب الاحتكام لحسم أمر من أمور الأمة ووحدتها ومصيرها ومقدراتها لمرجعية ما. مَن هو المرجع الحاكم الذي بيده ناصية الأمر وأن يكون مفترض الطاعة؟ لم يترك الله تعالى عباده دون توجيه، بل أمرهم بالرجوع إليه وانهم حين يتجاوزون ذلك معناه انهم اتبعوا الطاغوت وهو ما يعني انهم رموا أنفسهم في أتون المحنة وانساقوا وراء الشيطان الذي سيوغل في ضلالتهم.

٣ – المنهجية الوسطية:

﴿كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (سورة البقرة/ ٤٣).

إن دور الشهادة المزمع ممارسته من قبل الأمة على الآخرين من الناس مرتبط

عضوياً بمحتواها الداخلي الذي يتميز بالوسطية.. هذه الوسطية لا تكون من وحي المردود الاجتماعي، والذي ينحى منحى التوفيق بين المتخاصمين، فيتحرك ليقارب الوسط العرفي ولو على حساب الحقيقة؛ لأنه انطلق في هذه القضية أو تلك في مسارٍ ما، واختاره لمجرد أنه بين طرفين، بينما قد يكون أحد أطراف الخصومة مطابقاً لخط الحقيقة فيما يكون الآخر مجانباً لها.

إن منهجاً كهذا لا يقوى على ممارسة دور الشهادة، إنما الوسطية القرآنية المطلوبة هي التي تنطلق على الناس لا من الناس، فهي فعل ومبادرة مستوحاة من المبدأ والعقيدة والرؤية التي تصل حد الوضوح وليس من ردود فعل أطراف التخاصم. من هنا تكون الأمة الوسط قد أخذت حصة من التشبع من القيم والمبادئ التي أرادها الله تعالى لها ومن ذلك الموقع المتجرد لتأخذ دورها الشاهد الوسطي على الموقع المعني. مثلما تكون هي الأخرى محط شهادة الرسول (ص) وهذا ما يجعل مفهوم الوحدة الاسلامية أمام مستلزم أساس وهو التوفر على البراهين والأدلة الكافية والتي تبرئ الذمة بعيداً عن العواطف من جانب، وان شهادتها على الناس نقطة ارتكاز أساسية وهي تتوفر على الارتباط بخط الرسالة الذي يمثله رسول الله (ص) من الجانب الآخر.

إن أي ابتعاد عن هذا الخط يفقد الأمة تماسكها الداخلي ويستفرغها من محتوى التأهيل لممارسة دور الشهادة على الأمم الأخرى.

﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٥).

٤ – المشاعرية:

﴿... ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ (سورة الحجرات/ ٧).

صحيح ان الإيمان بجانبه العقيدي من مقولة العقل، ولكن الله تعالى أنزله من عالم العقل إلى عالم القلب وجعله محبباً للنفس لتزدان به.

ما يترتب على الإيمان من حب ينعكس على أمة المؤمنين وعلى منهجهم وأعمالهم وهو ما يجعله من ثقافة الحب لتكون هي السائدة والطاردة لثقافة الكراهية ويجد المؤمن نفسه أمام رابطة عاطفية مشرعنة لا يتكلف حين يتعامل مع الآخر وهو ممن يتحرك ضمن منظومته الفكرية ويمضي في ذات السبيل.

وحين تدخل الأمة في مجال التعاطي العاطفي على أساس الإيمان نجدها لا تتكلف التعامل من موقع الانسجام والتماسك، كما لا تستثني شريحة اجتماعية دون أن تتغلغل في أوساطها وتبث فيها روح المحبة وتقوي فيها أواصر العلاقة ولعل من ظواهر الروعة في القرآن الكريم هو مزج العاطفة بالفكرة والذي تجلى في أكثر من مفهوم:

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق... ﴾ (سورة الحديد/ ١٦).

﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم... ﴾ (سورة الأنفال/ ٢).

﴿وجعل بينكم مودة ورحمة... ﴾ (سورة الروم/ ٢١).

﴿... رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح/ ٢٩).

﴿إلا المودة بالقربى﴾ (سورة الشورى/ ٢٣).

إن لغة الحب المعقلن والتعاطف المشروع أسرع تأثيراً وأوسع انتشاراً في أوساط الأمة، وأعمق أثراً في نفوس أبنائها، وهو الذي يهبها ما لم يهبه الطرح الفكري المجرد الذي قد يقتصر على الخاصة من الناس وقد يصلح أن يكون قاعدة للتنظير، لكنه لا يتكامل إلا من خلال إجادة مخاطبة عموم الناس والنفوذ إلى وجدانهم، وهو ما يؤمن للأمة حركة حية بكامل أطرافها.

٥- الإنطلاقة المشتركة:

وعي المشترك يلعب دوراً مهماً في إحداث التقارب وكلما زادت مكونات الأمة وتعددت أطرافها زادت الحاجة لوعي المشتركات بينها للانطلاق منها لإحداث الوحدة، وقد أكد القرآن الكريم على أهمية المشترك مع أبناء الديانات الأخرى وأراد لنا أن

ندعوهم إلى المشترك الكتابي: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ألا نعبدَ إلا الله ولا نشرك به شيئاً... ﴾ (سورة آل عمران/ ٦٤).

س) كيف إذا نقلنا التعامل من الآخر الديني على قاعدة المشترك الكتابي إلى الآخر المذهبي على قاعدة "المشترك القرآني"؟

إن المشترك الكتابي مع أبناء الديانات وهو "عبادة الله وعدم الشرك به" عامة، من شأنه أن يؤمن قاعدة انطلاق مشتركة. أما إذا وضعنا المشتركات – التي يصعب حصرها عددياً في مجالات – القبلة والكتاب الكريم والرسول العظيم (ص) والغالبية العظمى من مفاهيم العقيدة من الناحية الكلامية والأحكام الشرعية.

لابد من إشاعة ونشر "ثقافة المشترك" لأن ثقافة المشترك من شأنها أن تضع الفرقاء المسلمين أمام "مشترك الشد والتفاعل" وإحداث الوعي لدى الكل على أمتهم أمام قاعدة بناء عريضة يمكن أن يشاد عليها صرح العلاقات والتي من شأنها أن تخنق الاختلاف في أضيق دائرة ممكنة إن لم تضفي عليه طابعاً تكاملياً.

إن التحرك من المشترك على المختلف يضمن مواصلة المسيرة بالعلاقات. أما البدء بالاختلافات وتجاهل المتفق عليه، قد يجعل المختلف عليه رامياً بظلاله حتى على المتفق عليه، ويدق إسفيناً يحول دون أي نوع من أنواع التعاطي البناء.

إن الأوساط الاجتماعية التي استعرت فيها نيران النعرة الطائفية جعلت أطراف الاختلاف يعرفون على ماذا يختلفون، لكنهم يجهلون ما يتفقون عليه.

س) يعني أن الدكتور يؤمن بأن أبناء الأمة الإسلامية قد يفتقدون إلى ثقافة الاتفاق؟

مثل هذه الثقافة "ثقافة الاتفاق" سرعان ما تتحول من أطرها النظرية إلى المجتمع لتوجد عُرفاً اجتماعياً يتجاوب مع الوحدة ويعمل على تضييق هوة الاختلاف.

الناظر للتجربة الاجتماعية بالعراق يجد ذلك واضحاً بأجلى صورة.. كل مدن العراق فيها تنوع مذهبي، بل أغلب عشائر العراق فيها تنوع مذهبي. فالبصرة مثلاً ذات

الغالبية الشيعية فيها أقلية سنية والموصل ذات الغالبية السنية فيها أقلية شيعية وما بين المدينتين تتفاوت المدن الأخرى بنسبة السنة والشيعة، ويبقى التعايش صورة بارزة في مجتمعات هذه المدن ولم يسجل تاريخ العراق احتراباً أهلياً أو حتى طائفياً بين أبناء المدن وحين بذل أعداء الأمة جهوداً لإحداث الفرقة والإحتراب استطاعت الأمة أن تفشل الجهود وتقف متماسكة بوجهها، وقد لعبت المرجعية الدينية وعلماء الدين دوراً مشرفاً في ذلك.

إن مثل هذه الحقيقة القرآنية في الاخوة الاسلامية تحولت الى حقيقة عرفية بالمدن، مثلما تمظهر التجاور المذهبي على شكل تعايش حواري بالسكن وتعايش قبلي وتعايش مناطقي وصل الى حد التزاوج بين أبناء المذاهب بنسبة حوالي ١ر٢٨٪.

٦ – الموضوعية:

كثيراً ما يكون التنظير تحت تأثير السلطان للنعرة لتبرير حكمه وإدامة سطوته.. ومن أشد ما يُمنى به الفكر والثقافة حين يكون الفكر واجهة لنزعة السلطان، وهو ما ظهر في عصر معاوية حين فسر ولايته السياسية من مصاديق القضاء والقدر، وأنه أمرٌ ليس للعبد فيه إرادة موظفاً ذلك المفهوم لتبرير حكمه على الناس، وقد استشهد لتعزيز ادعائه بظواهر الآيات القرآنية الكريمة:

﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ (سورة الأنفال/ ١٧).

﴿يضل مَن يشاء ويهدي مَن يشاء﴾ (سورة النحل/ ٩٣).

وهو ما يوحي بأن الله تعالى فرض السلطان كما هو ولا شأن للعبد أن يعترض عليه؟!

وكذلك كانت الفتنة التي أشعلها القصر العباسي في زمن المأمون العباسي وهي مسألة "خلق القرآن" وقد قتل فيها عدد كبير من الأبرياء "حيث كان أحمد بن داوود في عصر المأمون كتب إلى الولاة في العواصم الإسلامية أن يختبروا الفقهاء والمحدثين في مسألة خلق القرآن وفرض عليهم أن يعاقبوا كل مَن لا يرى رأي المعتزلة في هذه

المسألة. وجاء المعتصم والواثق فطبقا سيرته وسياسته مع خصوم المعتزلة، وبلغت المحنة أشدها على المحدثين. وبقي أحمد بن حنبل ثمانية وعشرين شهراً تحت العذاب، فلم يتراجع عن رأيه. ولما جاء المتوكل العباسي نصر مذهب الحنابلة وأقصى خصومهم فعند ذلك أحس المحدثون بالفرج وأحاطت المحنة بأولئك الذين كانوا بالأمس القريب يفرضون آراءهم بقوة السلطان" (حسن محمد العاملي، الإلهيات، ج٢، ص٢٢٠).

إن مثل هذا التسيس للفكر ومحاولة "أدلجة التسلط" كان موضع رفضٍ لدى أئمة أهل البيت(ع) "روى محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني انه كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا(ع) إلى بعض شيعته ببغداد: نحن نرى إن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فيتعاطى السائل ما ليس فيه ويتكلف المجيب ما ليس عليه وليس الخالق إلا الله عزوجل وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله" (نفس المصدر).

"وحدَّث سليمان بن جعفر الجعفري قال قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر(ع): يابن رسول الله، ما تقول في القرآن؟ فقد اختلف فيه من قبلنا، فقال قوم انه مخلوق وقال قوم انه غير مخلوق. فقال(ع): أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكني أقول إنه كلام الله.

فإنا نرى ان الإمام(ع) يبتعد عن الخوض في هذه المسألة لما رأى من الخوض فيها ليس لصالح الإسلام وإن الاكتفاء بأنه كلام الله أحسم لمادة الخلاف، ولكنهم(ع) عندما أحسوا سلامة الموقف أدلوا برأيهم في الموضوع، وصرحوا بأن الخالق هو الله وغيره مخلوق والقرآن ليس نفسه سبحانه، وإلا يلزم اتحاد المُنزِل والمنزَل فهو غيره فيكون لا محالة مخلوقاً" (نفس المصدر).

إن مثل هذا التعامل الحكيم مع المسائل المطروحة في أجواء الفتن والابتلاءات يفتح لنا باباً للحذر واسعة سعة التآمر الذي يحدق بالأمة من اننا أمام مسؤوليتين: مسؤولية تحديد الجواب والفهم الصحيح حيال أي مشكلة أو تساؤل ومسؤولية اختيار الظرف المناسب للطرح لنبلغ بذلك الحكمة المطلوبة ونفوّت على الآخر فرصة الإضرار بمصلحة

الأمة.

٧ – فاعلية الآلية:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٣).

الآية القرآنية الكريمة هي التي حددت مفهوم الوحدة القلبية للأمة التي يترتب عليها وحدة الموقف ووحدة المسار ووحدة المشاعر.

ثم أردفها القرآن الكريم بآية أخرى بنفس السياق، لكنها تتناول آلية الحفاظ على الوحدة. كأنها تشير الى سر الوحدة في "التآلف بين القلوب" كما ان سر الحفاظ على الوحدة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٤).

وهو ما يفتح عقل المسلم على أهمية الالتزام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل عام وعلى المجالات الاجتماعية لتحقيق الوحدة وتجنب تفتيتها بشكل خاص.

٨ – فض النزاع:

إن واقعية القرآن الكريم في مجال التعاطي الاجتماعي تذهب الى أقصى مدى حين تشير الى احتمالية الاقتتال بين طائفتين من المؤمنين، فماذا ستكون المسؤولية وما هي وعلى عاتق مَن؟

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (سورة الحجرات/ ٩).

من هنا يأتي دور الاصلاح وتجنب كل مظاهر الفساد جراء الاقتتال، فان تعذرت ابتداءً عملية الاصلاح بسبب أحد أطراف الاقتتال لبغيه فتقاتل الطائفة الباغية حتى

تفيء.. وعندها تتواصل عملية الاصلاح لتحقيق الوحدة ولا يكفي إحداث الهدنة والوقف المؤقت للقتال.

إن افتراض الاختلاف الى حد الاقتتال بين المسلمين أمرٌ واقع وآلية المواجهة بصريح القرآن هو الإصلاح: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم... ﴾ (سورة الحجرات/ ١٥).

٩ – الخطاب:

للوحدة خطابها وللخطاب ثوابت ومتغيرات وهذه كلها مستوحاة من المبدأ والواقع وان المبدأ يلبي متغيرات الواقع، كما يراعي طبيعة المتلقى ومستواه.

فخطاب الفرقة مرة يشير الى الاختلاف العقيدي ومرة الى الاختلاف الفقهي ومرة إلى الاختلاف القومي، ومرة الى الاختلاف السياسي وأخرى الى الاختلاف التاريخي، والخطاب الوحدوي لا يمر على هذه المحطات مروراً عابراً دون أن يتعامل بمدى فكري عميق وواقعية غير متناهية.

فترى الخطاب يوجه بالرجوع إلى أصحاب الاختصاص في الأمور المختلف عليها أو غير المعروفة.

﴿واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، ومرة يجعل من الأمور التاريخية مادة لا تستدعي التوقف والتدوير الى الحاضر ومرة يجعل من الاختلاف الفقهي أمراً طبيعياً فرضته ظروف تاريخية تركت آثارها على حاضر الأمة، ومرة يفتح باب الحوار على المختلف عليه ضمن منظومة أخلاقية ومعرفية، ومرة يجعل من الخلافات السياسية حقاً طبيعياً ضمن الدائرة الترخيصية، ومثلما يكون للخطاب مضمون وحدوي قد يكون للفرقة والتمزق خطاب كذلك، والأمة الحية لها تلقيات لخطاب الوحدة ولها صدود عن خطاب الفرقة.. واذا كان قد تعذر علينا أحياناً أن نمنع خطاب الفرقة فبإمكاننا تعميق الوحدوية لدى الأمة التي يختنق عندنا خطاب الفرقة.

١٠ – الرمزية الوحدوية:

مثلما يكون للوحدة خطابها يكون للوحدة رمزها وخطيبها ومثلما لا تكون ثورة ولا دولة ولا وحدة من دون خطاب كذلك الحال لا ثورة ولا دولة ولا وحدة بدون خطيب والأمة وان تتأثر كثيراً بالخطاب، لكنها لا تستغني عن الخطيب (الرموز) الذي يجسد وحدتها ويتسع لمجمل مكوناتها.

ان دعوة الوحدة تحتاج إلى خطاب الوحدة وتحتاج إلى رموزوحدوية.. الرموز الوحدوية من كلا الخلفيتين المذهبية الشيعية والسنية، فلا يكفي أن يكون الرمز الشيعي مقبولا شيعياً فقط أو الرمز السني يكون مقبولا سنياً فقط، بل علينا أن نطرح رموزاً شيعية مقبولة لدى أبناء السنة، ورموز سنية مقبولة لدى الشيعة كذلك.

إن التعاطي السني – الشيعي على مستوى الرموز المقبولة لدى الوسطين من شأنه أن يحدث آثاراً بالغة على طريق الوحدة.

س) ماهي أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في مسيرتها الوحدوية؟

أولاً ـ النعرة الطائفية:

وهنا ينبغي أن نميز بين الانتماء المذهبي والنعرة الطائفية، فالانتماء المذهبي تعبير مشروع عن ارتباط المسلم بمذهب فقهي معين يعتقد هو ببراءة ذمته حين يعمل بموجبه.

فيما تكون النعرة الطائفية حالة من العصبية تنطلق من تعصب مقيت يولد كراهية لأبناء الطوائف الأخرى، وفي الوقت الذي يعزز الانتماء المذهبي روح الاخوة الاسلامية بين كافة أبناء المذاهب الاسلامية نجد النعرة الطائفية تكون على عكس ذلك، اذ تطرح نمطية الاحتراب وثقافة التشاتم بين أبناء الأمة الاسلامية، حتى انها قد تصل أي النعرة الطائفية الى أسوأ مدياتها في استباحة دماء المسلمين من أبناء الطوائف الأخرى.

وقد تفرز هذه رموزاً طائفية وخطاباً طائفياً وفقهاً طائفياً يعطي للنعرة الطائفية مبررا شرعيا ويعبئ أبناء الطائفة بالاتجاه المضاد. وهنا لابد أن نشير الى حقيقة الحوار المفتوح بين ابناء المذاهب الذي ينطلق من ذات المثقف المذهبي الذي يستهدف الوصول

الى الحقيقة. كما اننا نعتبر ان المؤسسات ذات الطابع التعريفي لكل مذهب من المذاهب هي الاخرى أمراً مشروعاً ما دامت تتحرك في اروقة فكرها ودون أن تمس فكر الآخرين بسوء.

أما المؤسسات ذات الطابع الكيدي التي تكرس كل جهودها من أجل النيل من فكر الآخرين، فهي ولا شك تدخل في نطاق النعرة الطائفية.

ثانياً ـ التسييس الطائفي:

ونقصد به النظرة الى الأفكار والمفاهيم الى كل مذهب من المذاهب من منظور سياسي وليس من منظور معرفي محدد. وتسييس الحالة الطائفية يحول دون التعرف الايجابي بين أبناء المذاهب وهو ما لا ينسجم مع المفاهيم القرآنية التي أرادت لكل المختلفين من أبناء الشعوب والقبائل أنهم يتعارفوا على بعضهم البعض ومن موقع التعارف يجري بينهم الحوار والتعامل.

﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوب لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

ثالثاً – العقدة الماضوية:

إن قراءة التأريخ قراءة متأنية تعبر بجيلنا الحاضر الى الاجيال الماضية لاستلهام التجارب والاستفادة من العبر أمر مطلوب إلى حد كبير. غير ان تحويل التأريخ الى عقدة ماضوية تأثر على حاضرنا تأثيراً سلبياً وتجعله حاجزاً يحول دون التعامل بين أبناء الأمة الاسلامية فهو أمر مختلف.

من هنا كان علينا أن نقرأ التأريخ قراءة مستقبلية بمعنى أننا نستفيد من نجاحاتنا في التاريخ ونجاحات الآخرين لدفع عجلة التعاون في مجال الوحدة نحو الأمام، كما اننا نستفيد من أخطائنا التأريخية لتلافي تكرارها وعدم تحولها الى عقبات في الطريق.

هناك الكثير من المواقف المشرقة التي أقدم عليها أهل البيت(ع) تدفع باتجاه الوحدة وتجعل من أصحابهم منفتحين على أبناء المذاهب الأخرى، فعلى سبيل المثال ما نصح به الامام الصادق(ع) لأبان بن تغلب وهو يتحدث في مسجد النبي(ص): "انظر ما

علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك" وهو ما يعني بأن الامام يأمر أصحابه بالانفتاح على التعرف على المذاهب الأخرى كما أنه يحثه على احترام ما يعتقدون به ليجيبهم وفق ما يعتقدون.

رابعاً – الانكفاء الذاتي:

ما تتميز به بعض الفرق الاسلامية في التأريخ من انكفاء ذاتي أضفى عليها نمطية باطنية في الأداء، وجعلها تعيش حصاراً داخلياً ربما يولد في لاشعورها وشعورها كراهية عارمة تجاه الآخرين.

كما أنها أصبحت والحالة هذه تعاني من عقدة الاضطهاد بسبب عزلتها عنهم.

والانكفاء الذاتي هذا تتسبب فيه عدة عوامل، منها ما ينطلق من الظرف الاجتماعي الضاغط على مجموعة ما أو طائفة معينة، ومنها ما ينطلق من ذات المجموعة أو أبناء الطائفة، ومن أجل التخلص من هذه الظاهرة السلبية لابد أن تتوفر أجواء الصحة الاجتماعية الكافية التي تحترم كل معتقدات ومتبنيات أبناء الطوائف الأخرى، كما لابد لذات الطائفة أن تتمتع بالثقة الكافية والتخلص من الشعور بعقدة الاضطهاد وتطوير خطابها للتعامل مع الوسط الاجتماعي التي تتحرك فيه.

خامساً – عقدة الإقصاء والتسيد الطائفي:

حاول بعض السلاطين أن يقصي أبناء المذاهب الاخرى ممن لا ينتمون الى مذهبه وقد أدت هذه النعرة الى وقوع ضحايا كثيرة وألحقت الظلم بأبناء المذاهب الأخرى. كما حاولت الدولة الفاطمية في تعاملها مع بعض أبناء المذاهب السنية. فيما وجهت الدولة الأيوبية بالمقابل ضغوطا وممارسات قاسية على الفاطميين لنفس الدوافع والأسباب ولتحقيق نفس النتائج.

إن مثل هذه السياسات والممارسات وإن تحقق نتائج شخصية لواضعيها، ولكنها لا شك مضرة في مصلحة الأمة وانها لا محالة زائلة في حسابات الأمة وعلى مدى عمرها الذي يتجاوز عمر واضعيها.